

فكر وإبداع

إصدار متخصص

يعنى بنشر بحوث ودراسات جامعية محكمة

يصدر عن رابطة الأدب الحديث

مؤسس الإصدار والمشرف عليه (عضو مجلس الإدارة)

أ.د. حسن البنداري

البريد الإلكتروني : - Wafafarahat@yahoo.com
- drbendary@yahoo.com

* * * * *

تسعى الرابطة إلى : ١/١/٢٠٠٨

- إرساء مفاهيم البحث العلمي .
- الكشف عن الباحثين المتميزين والمغمورين .
- تنمية قدراتهم الفكرية والبحثية .
- المشاركة في تحديد معالم ثقافتنا المعاصرة .
- عقد حوارات متنوعة مع كافة الاتجاهات .
- التوفيق بين الصيغة التراثية والصيغة الحداثية .

الناشر: دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع.

العنوان : ٩٥٣ كورنيش النيل – مصر القديمة .

البريد الإلكتروني : E.mailDarelebdaa@hotmail.com

ت :٥٣٢٦٧٤٤ – ٥٣١٢٣٣٢١ – ٠١٠٦٦٣١٥٨٤

رئيس مجلس الإدارة : د. هدى الكومي

المدير العام : منى عثمان

لوحة الغلاف : للفنانة السعودية خلود آل سالم

فكر وإبداع

إصدار علمي جامعي متخصص محكم
يعنى بنشر بحوث ودراسات علمية محكمة
يصدر عن رابطة الأدب الحديث
القاهرة : ٦ شارع بنك مصر
ت : ٣٩٣٤٦٩٥
رئيس مجلس إدارة الرابطة : الشاعر/ محمد علي عبد العال

مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩

المؤلف : تحت إشراف أ . د حسن البنداري
أسم الكتاب : فكر وإبداع
تاريخ الطبعه : يناير / ٢٠٠٨
رقم الأيداع : ٢٦٤٥٨ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى : 977-6121-58-6 I.S.B.N
الناشر : دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع
العنوان : ٩٥٣ كورنيش النيل – مصر القديمة
البريد الالكترونى : DARELEBDAA@HOTMAIL.COM
ت : ٠١٠٦٦٣١٥٨٤ ـ ٠١٢٢٢٤٦٠٦٨ ـ ٢٥٣٢٦٤٧٧ ـ ٢٥٣١٢٣٢١
رئيس مجلس الأدارة : د . هدى الكومى
مدير التحرير : محمد عبد الرحمن بدوى
مدير العلاقات العامة : مها عبد الفتاح
مدير المبيعات : أحمد مقبل
مدير التسويق : غادة منصور

فكر وإبداع

المراسلات : توجه باسم المشرف على الإصدار أ.د. حسن البنداري

القاهرة : مصر الجديدة - روكسي، شارع أسماء فهمي كلية البنات - جامعة عين شمس

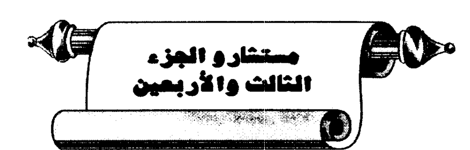
تليفون : ٥٨٥٤٦٦٢ - ٥٨٥٦٦٢٣

القاهرة : دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع

٩٥٣ كورنيش النيل - مصر القديمة

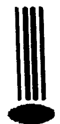
ت : ٥٣٢٦٧٤٤ - ٥٣١٢٣٢١ - ٠١٠٦٦٣١٥٨٤

الجزء الثالث والأربعون: يناير ٢٠٠٨



١ - أ.د ابتسام الإسناوي	١٩- أ.د قدري سرور
٢ - أ.د إبراهيم رشاد	٢٠- أ.د عبد الحكيم حسان
٣ - أ.د أحمد كشك	٢١- أ.د علياء شكري
٤ - أ.د اعتماد علام	٢٢- أ.د علي أبو المكارم
٥ - أ.د جمال عبد الناصر	٢٣- أ.د فاطمة عبد المجيد
٦ - أ.د رضا رجب	٢٤- أ.د ماجدة عبد السميع
٧ - رمضان بسطويسي	٢٥- أ.د محمد حسن عبد الله
٨ - أ.د زين نصار	٢٦- أ.د محمد حماسة عبد اللطيف
٩ - أ.د سامي عفيفي حجازي	٢٧- أ.د محمد سالم
١٠- أ.د سامي نصير	٢٨- أ.د محمد السعيد جمال الدين
١١- أ.د سامية عبد الرحمن	٢٩- أ.د محمد الطويل
١٢- أ.د سعد عبد العزيز	٣٠- أ.د محمد عبد المطلب
١٣- أ. د سمير رشاد	٣١- أ.د نادية حمدي
١٤- أ.د السيد فضل	٣٢- أ.د نبيل راغب
١٥- أ.د شفيع السيد	٣٣- أ.د نبيل غنايم
١٦- أ.د صبري إبراهيم السيد	٣٤- أ.د نفيسة عليش
١٧- أ.د الطاهر مكي	٣٥- أ.د هوريانا برانستيانو
١٨- أ.د طه وادي	٣٦- أ.د هيام أبو الحسين

المحتويات | الصفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية الجزء الثالث والأربعين يناير ٢٠٠٨

العام العاشر للإصدار

د. حسن البنداري

بهذا الجزء الثالث والأربعين يكون أصدار **فكر وإبداع** قد أكمل تسع سنوات، ليبدأ عامًا جديدًا هو العام العاشر . تشكك البعض (وهم قلة) في تواصله بعد صدور الجزء الأول في يناير ١٩٩٩م ، بينما باركه البعض الآخر (وهم كثرة) ورأوا أنه في ضوء الإيمان برسالته وبجدية القائمين عليه – سوف يزدهر ويتواصل – ، وكنت أرى عند صدور كل جزء ابتسامة رضًا وتفاؤل تعلو وجوههم .

يضم هذا الجزء واحد وعشرين بحثًا ، سبعة عشر منها باللغة العربية ، وأربعة بغير العربية . أما البحوث العربية فهي الشاعر د. باشراحيل يثور على طيبته لمحمد علي عبد العال، واللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى للدكتور محمد حماسة، ولزوم ما لا يلزم في الأوزان للدكتور عبد العزيز نبوي، وعلة العدل في منع الاسم من الصرف للدكتور عصام عامرية، والاضطرار المنهجي عند النحاة للدكتورة أميرة يوسف، وموقف أبي إسحاق الزجاج من القراءات المتواترة للدكتور علي الراجحي، والميمات الثلاثة قراءة في شروط الدرس الناجح للدكتور محمد السعيد بن سعد، ومفاهيم الكتابة في مسرح الطفل في القرن الحادي والعشري في مصر للدكتورة فاطمة يوسف، وإرادة المعنى عند فكتور فرانكيل للدكتور آمال الشامي، وإشارات الرسول ﷺ دلالتها أصوليًا وأثرها إيمانيًا وأخلاقيًا للدكتور طاهر مصطفى نصار، وتجديد الخطاب الديني (نقد الخطاب الديني) لنصر أبي زيد نموذجًا للدكتورة سماح شلبي، وتدريبات مقترحة لآلة الكمان للدكتور حمدي عيد، وأم كلثوم وأزمة النقد الموسيقي للدكتور وليد شوشة، وتصور مقترح لتحسين أداء عازف الكونترباص للدكتورة سالي علي طموم، ودراسة تحليلية لأسلوب أداء فايزة أحمد للدكتورة هدى أحمد محمد علي، وكيفية استخدام الإيقاعات المستحدثة في ألحان محمد عبد الوهاب للدكتور هشام العربي، وأساليب تطويع ترقيم أصابع اليد اليسرى في أداء عازف الكمان للدكتور أشرف سعيد هيكل .

وأما البحوث غير العربية فهي :

(1) The Poetic Spirit of Popular sayings: A Study in Some English Proverbs

الروح الشعرية للأمثال – د. حاتم سلامة

(2) Literary Meaning : A linguistic approach

المعنى الأدبي : منهج لغوي – خضر توفيق خضر

(3) Gioacchino Rossini (mit seinem Petite M esse Solennelle

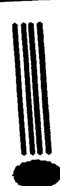
ملخص بحث : القداس السماوي الصغير – د. حنان الجندي

(4) Les Anonces Publicitaires Enter Présupposition et Inférence.

دراسة دلالية درجماتية للدعاية المكتوبة – د. ناهد الطناني

المادة العربية

* البحث
* المقال النقدي



د. عبد الله باشراحيل
شاعر يثور على طيبته

محمد على عبد العال (*)

لفت نظري عند بداية قراءتي لشعر الشاعر السعودي عبد الله باشراحيل أن له فلسفة في الحياة منذ البداية؛ تتمثل في قصيدته جمال الحياة، وهي من قصائد البدايات في أول ديوان له حيث يقول :

حول الآلام في دنياك أنسا　　　واجعل الفرح كرقص الغانيات

(من ديوان معذبتي ص ٣٥ من الأعمال الكاملة صاد سنة ١٩٨٧م)

ويقول أيضًا من نفس الديوان ص ٥٠ : الحياة :

هي الحياة فما أحلى مفاتنها تعطي الكثير ولا تبقي لظمآن

ويقول في نفس المجال : أنا الليل ص ٥٧ من نفس الديوان

هذي الخلائق منذ فارقها التقى راحت بأوصال الضغينة تغرق

ثم يقول ص ٥٩ من قصيدة : شوقي أمير الشعراء من نفس الديوان :

(*) شاعر وناقد ورئيس رابطة الأدب الحديث .

أدعوك في زمن تناقض أمره وسطا على الشعر العظيم الباني

الشعر في أيامنا في محنـــة من هجمة الغرباء والغربـــان

ومن هذا المنطلق يقول في قصيدته : عيد ميلاد صديق ص ٦١ من نفس الديوان .

واختر من الناس من تسمو بصحبته فالخير الشهم بين الناس منشود

وفي قصيدته : عزاء الأحبة التي يتحدث فيها عن الملك فيصل وجدت بيني وبينـه مشتركًا يجمعنـا فـي فقـد هـذا القائـد العربـي حيث يقـول ص ٦٥ نفس المصدر .

أفيصل إنا سنمنها الحياة فكيف السبيل وأين المفر

عزاء الأحبة فيك الدعـاء فأنت الحبيب العزيز الأبر

يجزيك ربي خير الجـزاء ومنزلك الخلد نعم المقـر

وحيث أنا أقول في ديواني بقايا من ضياع الصادر سنة ١٩٧٩م ص ٥٩

إذا الأجيال قالت من فتاهـــا أجاب الليل فيصل والنـهـار

ففي حرب العبور وقفت صلدا شديد البأس في حرب تـدار

بحكمة فيصل تشدو ملـــوك ونور الفكر منها مستـــعار

وفي ديوان الهوى قدري قصائد للحب والحياة (صادر سنة ١٩٨٠م) تتجه اتجاهًا فلسفيًا .

فهو يبدأ الديوان بنفس الفلسفة بدون أن يقصد حيث يقول في أول قصيدة فيه ص ٧٧

من قابل الدنيا بسيل دموع عاش الحياة بذلة وخضوع

وهو يمزج في فلسفته للحياة بين الحب، وإذا كان الزمن لا يعود فلا بد فيه من الحب ، يقول ص٨١ من قصيدته : تراك تعود (نفس المصدر) .

وأنت أضعت فيها العمـــر كيف تعـــيد أزمانـــــــك

أما قصيدته في فلسفة الحياة والحب وهي قصيدة الهوى قدري ص ٩٢ .

فهو يقول فيها:

يا رب ما حيلتي إن الهوى قدري يقتادني مكرها من معصم دام

فهذه القصيدة تتجلى فيها كل موهبة الشاعر من قوة الموهبة وقوة اللغة وقوة الصورة الشعرية وقوة الموسيقى المناسبة بلا تعسف ولا تكلف مما يدل على أنه شاعر مطبوع منذ البداية حيث أن هذا الديوان صادر سنة ١٩٨٠م .

وفي ديوان النبع الظامئ ١٩٨٦م ، يستمر الشاعر في قصائد الحب والحياة وتنامي الرومانسية عنده حتى في الوطنيات .

ويتفجر فيه هذا النبع الظامئ الذي يتدفق مكتسحًا كل موضوعاته الأخرى فينهمر كالسيل، وتظهر "أبوليته" وانتماءه لرابطة الأدب الحديث التي هو

عضو حقيقي بها، وتظهر بداخله قوة شوقي وناجي حيث يتدفق منسابًا في قصيدته آه ص ٢٤٥ حيث يقول :

كيف التقينا بلا وعد ومعرفة وكيف صار هواها دائي الداهي

أما قصيدته : إلى حبيبي ص ٢٤٧ فلو خيرت أن ألقي من أشعاره فسوف اختار هذه القصيدة، فليس من أدواتي في النقد التركيز على الموضوع لأن كل شيء به موضوع ولكن كثافة التجربة وعمقها .

وتعدد الصور البلاغية في هذه القصيدة، وانسيابية اللغة وتجانس الألفاظ والتراكيب مع بعضها، وعدم افتعال موسيقى مجزوء بحر الكامل مع كل هذه القوافي التلقائية جعلت من القصيدة قطعة إنسانية واحدة تقول بأن هذه هي الموهبة وهذا هو الشعر يقول في بعض أبياتها :

يا مفزعـي يوم السرور وقاتلي يوم اقترابـي
حملتنـي وزر الغـرام وعشت أحلم بالتصـابي
ضيعتي يا ويلتـي يا ويح غدرك قد هوى بي
أين الصبابات العـذاب لدى جراحات العـذاب
وجميل عمري قد مضـى وقد انتهى معه شبابـي
أين الدموع ذرفتهـا عند اللقاء وفي غيابـي
والروض والزهر النضير وعاشقان على الروابـي
ورجعت يقتلني الأسـى ويروعني ويذل ما بـي

إن الشاعر الدكتور عبد الله باشراحيل شاعر من الزمن الجميل الذي لا يزال ممتدًا فيه أطال الله في عمره فهو من الشعراء الكبار الحقيقيين في زمن عز فيه الشعراء والرجال الذين يتألمون على ضياع الوفاء والحب بمعناه الإنساني وقيمه العليا كما يقول في قصيدته :

كيف لا أتألم ص ٢٨١ نفس المصدر .

ضاع الوفاء فكيف لا أتألـــم والجرح ينزف والجوى لا يرحم

فالحب ترياق الحياة ونبضها إن الحياة بغير حب علقـــــــم

معنى ذلك أن هذا الرجل ليس بسعيد برغم كل ما هو فيه يقول في ص ٢٨٥ من قصيدة : هلا تبصرت .

إن كنت أرفل في نعماء حافلة فلست تدري بآلام أعانيهـــــا

- ديوان : الخوف : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

هذا الشاعر إنساني حقيقي، يحب الفضائل ، ويتمنى أن تسود بين الناس ويؤرقه أن يرى الناس بخلاف ذلك، وتلك هي مشكلته هذا الإنسان النادر الذي يؤرقه الشر في الناس ويخاف عليهم حتى تصبح مشكلته الخوف يقول في قصيدة : حجر ص ٤٠٨ :

كم تفيأت بظل عابـــــر ورأيت الزهر حولي والمطر

وانتصارات المنى قائلة نعم ما قدمت رمزًا للبشــــر

لو تراني ساعدًا مقـــتدرًا يصنع التاريخ جهدًا وفكـــر

غير أني واجف منهـــزم يتمنى ، يتلهى ، يحتضـــر

فإذا ران على وجهي أسى سمني ما شئت حتى لو حجر

وفي نفس السياق قصيدته إلى أبيه ص ٤٣٧ من نفس المصدر والتي يقول فيها :

ماذا أحدث يا أبـــــي والقلب تعرف أنت قصـــده

قلبي تعـــلق يا أبـــي بالصدق والامحـــال هـــده

وأيضًـا قصيدته : الوفـاء المهـاجر ص ٤٤١ وإن كنت أعتقد أن وفـاءه موجود معه دائمًا في أي مكان حل فيه سواء في مصر أو في السعودية أو في أي مكان من العالم، فهو إنسان عالمي النزعة والتفكير يحب الحياة والفضائل والإنسان يقول :

طر بي إلى أرض الهنا مصر المنى واغنم من الروض الجميل مليحه

قد كنت أكـــرم وافد فـــي دارة تعلى النبوغ وتمتح من طموحه

وقد وجدت بيت القصيد في شعر الشاعر في الديوان الرابع من نفس المصدر ص ٤٥٩ من قصيدة : آخر حواء حيث يقول :

ثوري على الناس ترديني مواجعهم ثوري على طيبتي محبوبتي ثوري

وهذه القصيدة من أجمل قصائده أيضًا، وفيها يخاطب محبوبته حنان، وواضح أنها رفيقة درب الطفولة حتى تناحل الجسم كما يقول :

جسمي تناحل هذا الفكر يشغلني، وهذا الفكر الذي يشغله هوى ضغينة الحاقدين ومكايدهم والذين يمارسون الجانب المظلم من الحياة ويحيلونها إلى نوع من الشقاء والقتامة للبشر، مما يجعل نفسه المحبة للجمال والفضيلة تعيش في معاناة دائمة تجعله يثور على طيبته التي تسبب له المعاناة والألم ، فهو يعاني مما يعاني منه المصلحون والداعون إلى فضائل الأخلاق، فهو شاعر الجمال الأخلاقي .

من هو الشاعر عبد الله باشراحيل ؟

يقول ص ١١٠ في الجزء الثاني من الأعمال الكاملة ديوان : قناديل الريح:

أنا شاعر يبغى الحياة ظليــــلة بالحب والإيمان والإرشـــــاد

طبعي السماحة والحقيقة منطقي من ذا يبدل فطرة الميـــــلاد

أملي بلاد ليس فيها ناقـــــم يرتادها عطر الصباح النــــادي

أملي صديق ما تــــــبدل وده يومًا ولا أخفت يداه جهــــادي

ويقول في قصيدة اليتيم : نفس المصدر ص ٣٠٢ .

لبست الطهارة مثل الوشـــــاح وألقيت كل فنون النعـــــــم

وظنوك في الدهر شخصًا غريبا كأن البراءة إثـــــــم وذم

وفي الحقيقة لقد استفدت شخصيًا من دراستي لأعمال الشاعر الكبير د/عبدالله باشراحيل، لأن أشعاره صادقة فهي تعبر عن شخصيته بصدق، ولأنه صادق في تجربته الشعرية، فقد عرفت من خلال أشعاره أن الجاه والمال لا يحلان مشاكل الإنسان في الحياة، وأن هناك نوعًا من التوازن والعدل أو كما سماه توفيق الحكيم نظرية التعادلية، ويقول في ذلك شاعرنا عبد الله باشراحيل من قصيدة شكوى العصر ص ٣٢٥ نفس المصدر :

لم يعد فينا الذي لم يشتك   شكوة المجروح بين المحن
تعصف الريح فما أظلمها   وغوى الدرب فقير وغني
كل من لاقيت يرجو عمره   فوق كل الناس فوق المنن

والشاعر الدكتور/ عبد الله باشراحيل هو شاعر الحس القومي العربي والإسلامي يتجلى ذلك في أشعاه الموجودة في كل دواوينه عن قضايا العروبة والإسلام، فهو شاعر ينطلق بتلقائيته في التعبير عن ذاته بكل ما يحيط به من مشاعر شخصية وأسرية ، وإخوانية ومراثي أصدقائه وحب وطنه وعروبته وإسلامه، وكأنه الكل في واحد بدون انحياز لبقعة معينة أو موضوع معين أو شكل معين من أشكال الكتابة، فهو يعبر عن نفسه بكل موسيقى الشعر وأشكال بحوره في الكتابة سواء بالشعر العمودي أو شعر التفعيلة فهو لا يتعصب لشكل معين وإنما بتلقائية الدفقة الشعرية التي لا تخونه أبدًا، فهو يقول من قصيدة شعوب محمد ص ٦١ من ديون : وحشة الروح الصادر سنة ٢٠٠٣م :

حطمي القيد يا شعوب بلادي جددي النصر يا طلائع (أحمد)

حاربيهم بكل فكر ذكـــــــي وأميطي اللثام فالهول عربــد

أوسعونا بغدرهم وتمـــــادوا وصبرنا وصبرنا اليوم ينفــذ

ويقول من قصيدة ثمن حرية عنترة ص ٣١ ديوان : بماذا تتنبأ يا صديقي.

يا شداد : أطلق ليثك العبثي

إن البر ضاق من الحشود

هذا هو الطوفان والشر اللعين

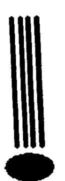
أسرج له الخيل العراب

فسطوة الأعداء والويلات والعار المهين

وألف عنتر محبط في المحبطين

شداد ويحك سوف تذورنا الرياح

وبعد : فهذا هو الشاعر العربي السعودي المتكامل د/ عبد الله باشراحيل



اللغة وشعر الأطفال بين أحمد شوقي وسليمان العيسى

د. محمد حماسة عبد اللطيف (*)

اللغة وشعر الأطفال

يكتسب الطفل السويّ في الثالثة من عمره اللغة التى يتكلم بها أهله وذووه ، ويصبح لديه كمّ صالح من المفردات المستعملة حوله تتناول أشياء مختلفة من المحسوسات وبعض المفاهيم ، كما يصبح لديه نظام هذه اللغة يمكنه من صياغة ما يريد على غرار ما يسمع ، فهو يُثبتُ ويَنْفي ، ويَطلب ويرفض ، ويسأل ويجيب إلى غير ذلك من الأنظمة التركيبية المختلفة .

وتتشكل لغة الطفل في هذه المرحلة المهمة من سنى عمره وفقا لما يحيط به ، فإذا كانت البيئة التى يُنشأ فيها بيئة راقية المستوى ، مهذبة الطباع، قويمة السلوك كانت لغة الطفل كاشفة عن شئ من ذلك كله في اختيار المفردات ، وطرق التعبير . وإذا كانت البيئة التى ينشأ فيها على غير ذلك انعكس هذا على لغة الطفل بطبيعة الحال . فاللغة مرآة عاكسة للمستوى الاجتماعى ، والدرجة الفكرية ، والسلوك الأخلاقى والثقافي . ومن ثم وجب الحرص الشديد في تنشئة الأطفال ، وتهيئة الظروف الملائمة ، والآفاق المساعدة على اكتسابهم اللغة في مبدأ حياتهم ، وفترة تمثلهم للغة والمبادئ التى تحملها هذه اللغة انطلاقا من المبدأ المقرر وهو أن اللغة وعاء الفكر ومجلى التعبير عنه .

(*) أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة

والأطفال في مراحل الطفولة المبكرة أى في فترة الرضاعة يستجيبون للإيقاع المنظم ، ومن هنا تلجأ الأمَّهَات بالفطرة إلى الهدهدة ، والأصوات المنغمة التى يستجيب لها الأطفال فيهدأون ، وتسكن نفوسهم ، وقد يخلدون للنوم بعد بكاء ، أو يناغون بعد اضطراب وصراخ . وكثيرا ما تلجأ الأمهات إلى الغناء الذى يردد كلمات أو أغنيات محفوظة متوارثة تخاطب الطفل ، وتعده بأشياء جميلة وهو لا يعى منها إلا النغم الجميل الذى يأنس به ويسكن له.

ولما كان "الشعر" هو الذى يجمع بين الأنغام الموقعة واللغة الموصلة؛ اتخذته الأمهات من قديم وسيلة للتهدئة أو للمناغاة والترقيص ، فالطفل يُغَنّى له بالشعر ليسكن ويهدأ إذا بكى ، ويغنى له بالشعر ليلاعب ويضحك ، وإلى جانب الملاعبة والتهدئة تشحن طاقته التى تتخلق بالمعانى والمبادئ والمثل والمعتقدات التى تتردد على سمعه سواء أوعاها أم لم يعها ، فإنها سوف تعمل عملها في النفس والوجدان .

وكان العرب يهتمون اهتماما واضحا بترقيص أطفالهم ، والترقيص هو ملاعبة الطفل وهزه مع تنغيم بحر الرجز ، وإسماعه أبياتا تبشره بمستقبل مرموق ، أو تتغنى بحسبه ونسبه ، أو تظهر له الحبّ والحنوّ ، أو تصف شيئا فيه ، أو تحدثه عن مآثر آبائه وأجداده .جاء في العقد الفريد :

"وكانت فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - ترقص الحسين بن على ﷺ ، وتقول :

إنّ بُنَـــيّ   شـبهُ النبـيّ
لـيس شـبيهًا   بعلـيّ

وكان الزبير يرقص ولده عروة (وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ﷺ) ويقول :

أبـيض مـن آل أبـى عتيـق[١]

مبـاركٌ مـن ولـد الصـدّيق

ألـذه كمـا ألـذ ريقـى

وقال أعرابى وهو يرقص ولده :

أحبّـه حـبّ الشـحيح مالـه

قـد كـان ذاق الفقـر ثـم نالـه

إذا يريـدُ بذلـهُ بـدا لـه

وقال آخر وهو يرقص ولده :

أعـرف منـه قلـة النعـاس

وخفـة فـي رأسـه مـن راس

(١) آل أبى عتيق هم آل أبى بكر رضى الله عنه .

وكان رجل من طيئ يقطع الطريق ، فمات وترك ابنه رضيعا ، فجعلت أمه ترقصه وتقول :

يـــا ليتـــه قـــد قطـــع الطريقـــا
ولـــم يُـــرد فـــي أمـــره رفيقـــا
وقـــد أخـــافَ الفـــجّ والمضـــيقا
فقـــلَّ أن كـــان بـــه شـــفيقا[٢]

وكانت السيدة حليمة السعديّة تقول في ترقيص الرسول ﷺ وهو طفل مسترضَع في بني سعد :

يـــارِبّ إذْ أعطيتـــهُ فأبْقـــهِ
وأعْلِـــه إلـــى العُـــلا ورقّـــهِ
وادحـــضْ أباطيـــل العـــدى بحقّـــهِ

وليس "الترقيص" مقصورًا على الذكران وحدهم ، بل إن الإناث يشركن الذكور في هذا بطبيعة الحال ، ومن ذلك ما يقوله هذا الوالد – أو هذه الوالدة – يرقص ابنته ويدعو لها بالحياة :

---

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٤٣٩/٢ تحقيق احمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الإبياري (دار الكتاب العربي) .

بنيتــــــى ســــــيدة البنــــــاتِ

عيشــــــى ، ولا نــــــأمن أن تمــــــاتى

هذا عن دور الشعر في الشهور الأولى من حياة الأطفال التى تتسلل فيها اللغة إلى ذهن الطفل بمفرداتها وتراكيبها ، وتشكل البنية اللغوية التى سوف يتعامل بها بعد حين ، وثمت عوامل بيولوجية ووراثية تؤثر في اكتساب اللغة عند الأطفال ، وإذا لم يكن ذلك صحيحًا فإن اختلاف البيئة والمحيط الاجتماعى لكل طفل يؤثر في ذلك . "إن نمو الطفل اللغوى يقتضى من الكبير أن يراعى مستواه وتطوره ، والأم أكثر إحساسًا بهذا من الأب"[٣] فدور الأم مهم في هذه المرحلة ، وما تهدهد به طفلها مهم كذلك أيا ما كانت الطريقة التى يكتسب بها الطفل لغته ، ويتعلمها بها في هذه المرحلة[٤] .

(٣) د٠ أحمد مختار عمر ، اللغة واختلاف الجنسين : ١٥٠ (عالم الكتب ١٩٩٦) ، وقارن بما فى : J.B Gleasom, Sex Differences in the language of Children and Purents. 1979.

(٤) ترى المدرسة السلوكية أن اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية بالمحاكاة (Imitaiam) والترابط أو الاقتران (asociation) والإشراط (Camditianing) والتكرار (tepitation) والتدعيم أو التعزيز (reinforcement) ٠٠ إلخ

انظر : Skinnar,B. Verpal Behavior, 1957

وانظر دراسات فى علم اللغة النفسى : ٦٢ داود عبده ١٩٨٤ ٠

وترى المدرسة الإدراكية أو المعرفية Cognitive أن الطفل يتعلم التراكيب اللغوية عن طريق تقدير فرضيات (hypotheses) معينة مبنية على النماذج اللغوية التى يسمعها ، ثم وضع هذه الفرضيات موضع الاختبار فى الاستعمال اللغوى وتعديلها عندما يتضح له خطؤها تعديلا يؤدى إلى تقريبها تدريجيا من تراكيب الكبار ، إلى أن تصبح تراكيبه مطابقة لتراكيبهم ٠ (انظر : دراسات فى علم اللغة النفسى : ٧٤ داود عبده ١٩٨٤) ٠

ومن الواضح أن هناك شعرًا يكتب عن الأطفال ، وشعرًا يكتب للأطفال . وهناك فرق بين هذين النمطين من الشعر ، فالشعر الذى يكتب عن الأطفال لا يخاطب به الأطفال ، ولكنه يخاطب به غيرهم ، قد يكون نجوى خاصة بالنفس ، وقد يكون شكوى موجهه إلى المتلقين ، وقد يكون شكوى الزمن وبيان سوء الحال التى يؤدى إليها وجود أطفال كثر ، وقد يكون حنينا وتشوقا إلى وجود طفل ، أو خوفا على طفل موجود وإشفاقا عليه ، فمثلا قول حطان بن المعلّى :

أنزلنــــى الــــدهر علـــى حكمـــه ... مـــن شـــامخ عـــالٍ إلـــى خفــض

وغـــالنى الـــدهر بـــوفر الغنـــى ... فلـيس لـى مـال سـولا عرضــى

أبكـــانى الـــدهر ويـــا ربّمـــا ... أضــحكنى الــدهر بمـــا يرضـــى

لـــولا بنيـــات كزغـــب القطـــا ... ردن مـــن بعـــض إلـــى بعـــض

لكـــان لـــى مضـــطرب واســـع ... فــي الأرض ذات الطـول والعـرض

وإنمـــــا أولادنـــــا بيننـــــا ... أكبادنـــا تمشـــى علـــى الأرض

لـــو هبـــت الـــريح علـــى بعضـــهم ... لا متنعـــت عينـــى عـــن الغمـــض

تعد حديثا عن الأطفال ، والبنات خاصة ، فهو يشكو الدهر أن اغتال ماله وأقعده حرصه على بنياته الصغيرات عن الضرب في الأرض ، والسعى في طلب الرزق ، ثم يتحدث عن غريزة إنسانية عالية هى حب الأولاد وأنهم قطع

وانظر أيضا المرجع فى تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ٣٦٠ وما بعدها د . رشدى أحمد طعيمة (جامعة أم القرى) .

من أكبادنا تمشي على الأرض ، ولا يغمض جفن إذا مُسّ أحد منهم بسوء . وإذا كان الخوف على البنيات الصغيرات يقعد مثل هذا الشاعر عن السعى في الأرض وقطع وديانها في ظلمات الليل من أجل أن يهيئ لها الحياة الكريمة ، والمعيشة الرخيصة :

لولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أجب في الليالى حندس الظلم

ويحبُّ آخر الحياة ، ويتعلق بها لا من أجل نفسه ، بل من أجل بناته الصغيرات حتى لا يتعرضن بعده لمشقة الحياة وشظف العيش :

لقد زاد الحياة إلىّ حبًّا بناتى أنهنّ من الضعافِ
مخافة أن يرين البؤس بعدى وأن يشربن رنقا بعد صافِ
وأن يعرين إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرمٍ عجافِ

وهذا باب من الشعر واسع قديمًا وحديثًا ، الحديث عن الأطفال ومحبتهم ، وتحمل الحياة ، وحبها من أجلهم .

وأما الذى نحن بسبيله فهو الشعر الذى يتوجه أساسًا للطفل ، فالطفل هو قارئه ومتلقيه . ولهذا الضرب من الشعر مواصفات خاصة تتعلق بأفكاره أو مضامينه ، وبلغته من حيث المفردات التى تكوّن جمله ، والتراكيب التى تكوّن نصه ، ومن حيث الغاية التى يتغياها ، والأهداف التى يتبناها ، والمستوى العمرىّ الذى يتوجه إليه .

وهذا الشعر الذى يتوجه للطفل يسلك أحد السبل الآتية :

أ- قد يكون على لسان الشاعر مخاطبًا به الطفل .

ب- قد يقوله الشاعر على لسان الطفل نفسه .

ج- قد يكون بضمير الجمع ، والجمع هنا هو جمع الأطفال .

د - قد يكون على لسان الشيء الذى يحبه الطفل كحيوان أليف معين ، أو لعبة محببة لديه ، أو الأب أو الأم أو الأصدقاء .. إلخ.

هـ- قد يكون على لسان الشيء الذى نود أن يحبه الطفل ويألف ويتعامل معه كالمدرسة مثلا أو الوطن .

التجارب التى قدمها الشعراء للأطفال – حتى الآن – تخضع للاجتهاد الشخصى ، ولا تقوم على أسس تربوية مدروسة ، أو على أسس لغوية تراعى سن الطفل ومرحلته التى يكون عليها . ولا توجد لدينا مع الأسف ، دراسات يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال على كل الأصعدة المشار إليها في حقل التعامل الشعرى ، قد تكون ثمت دراسات تربوية عامة تتعلق بالتعليم والمادة اللغوية التى تقدم للأطفال . أما في مجال الشعر فالأمر يخضع للشاعر نفسه ، وإحساسه الخاص ، وثقافته المعينة .

هل ثمة ضرورة ملحّة لشعر الأطفال ؟ أو هل الأطفال في حاجة إلى شعر خاص لهم ؟ وبعبارة أخرى : هل هناك ما يدعونا إلى تقديم شعر للأطفال ؟ قد يقول قائل : لا حاجة بنا إلى تقديم شعر للأطفال ، ويكفي أن نهتم بنظامهم التعليمى ، والأساليب الخاصة التى تساعدهم على اجتياز حاجز "الأمية" حتى يتعلموا القراءة ، ثم عليهم أن يقرأوا لأنفسهم من "شعر الكبار" ما يجذبهم أو يجدون في أنفسهم رغبة في قراءته ، وأن يشقوا لأنفسهم طريقهم .

والواقع أن مثل هذه النظرة تغفل أشياء أساسية في طبيعة اللغة وحقائق وجودها ، وأعنى هنا طبيعة اللغة العربية نفسها بطبيعة الحال .

فالناتج اللغوى الموجود لدينا منذ القديم وعلى مدى سبعة عشر قرنا من الزمان ذو شقين : شعر ونثر ، فالشعر قسيم النثر ، وصحيح أن الشعر كان القسيم الأكبر حظا في القديم ، وتبدل الحال الآن بحيث صار "النثر" بكل ألوانه وأنواعه هو القسيم الأكبر .

والشعر "فنّ" له نظامه وتركيبه اللغوى المعين الذى يلتزم به قائله ، ولا يتيسر لكل أحد ، بل هناك فئة قليلة تستطيع قوله وتحكم أمره ، وهو من هذه الناحية يحتاج إلى رعاية خاصة .

ولما كان الشعر "فنًّا" فإن أحد جوانبه الفنية هى "الموسيقى" الخاصة به ، وهى التى تسمى "الوزن" وهناك علم خاص بهذا الجانب يسمى علم العروض . وقد قال أرسطو من قديم إن الموسيقى والمحاكاة هما الدافعان اللذان يدفعان إلى قول الشعر ، ومن هنا يكون الشعر بما أن الموسيقى دعامة أساسية فيه "غريزة" أساسية في الإنسان ، ويصبح الاهتمام به مطلبا أساسيا ، وتصبح رعايته وتنميته في أبناء اللغة واجبا ضروريا .

ولما كان الشعر "موزونا" فإن إلقاءه يكون فيه ضرب من الترجيع والتوقيع بحيث يستدعى بعضه بعضا ، ومن هنا يصبح حفظه أسْهل من حفظ الكلام المنثور ، ولهذا السبب لجأ بعض العلماء قديمًا إلى نظم قواعد العلوم حتى يسهل حفظها وجريانها على الألسنة والذاكرة ، ويكون ذلك مدعاة لعدم النسيان . ولهذا السبب ضاع كثير من الكلام المنثور – قبل عصر التدوين – وبقى كثير من الشعر لوجود عنصر الوزن فيه وسهولة حفظه وتذكره . ولهذا أيضا كانت "الأناشيد القومية" لكل الأمم من الشعر حتى تُحفظ وتُغنى في المناسبات الوطنية(°) .

(°) انظر : العقد الفريد لابن عبد ربه ١٩/١ إلى ٦٣ ، وانظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى : ١١ – ١٢ (تحقيق محمود محمد شاكر) .

لا أريد أن أكرر هنا ما قاله أمثال ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد" أو ما قاله عبد القاهر الجرجانى في كتابه "دلائل الإعجاز" عن فضل الشعر ، والدفاع عنه ، ولكنى من واقع تجربتى الشخصية في تعليم العربية ومحاولة فهمها وإفهامها ومعرفة أسرارها أكثر من أربعين سنة حتى الآن أقول : إنّ فهم الشعر عنوان على فهم العربية ، وليس فهم العربية عنوانا على فهم الشعر ، فالذى يفهم الشعر ، ويتذوقه قادر – بلا شك – على فهم اللغة وإدراك تراكيبها . وأقول أيضا إن اللغة تكون بخير إذا كان جمهرة كبيرة من أهلها قادرين على فهم الشعر وتذوقه ، ومن هنا أجد أن الاهتمام بالشعر اهتمام بالعربية ، ولابد من درسه وتدريسه وغرسه بأوزانه وخيالاته في نفوس الناشئة خدمة للعربية نفسها ورعاية لحقها ، وتنميتها ، والجهد الذى يبذل في شعر الأطفال سوف تعود ثمرته على اللغة نفسها ، وعلى القومية التى تعد العربية مقومًا أساسيًا من مقوماتها ، وعلى الأوطان التى تنتمى إلى العربية وتتخذها لغة ، وعلى القيم الأساسية التى تنشد من وراء كل تعليم .

الذى فتح باب كتابة الشعر للأطفال هو أحمد شوقى ، وأضفي على هذا العمل شرعية ، ولا غرو أن يهتم أمير الشعراء في العصر الحديث بهذا الجانب فهو يقدر اللغة قدرها ، ويقدر الشعر قدره ، ويدرك بحسه الطبيعى دور الشعر في فهم اللغة وإدراك أسرارها ، ويدرك بحسه أيضا أهمية التوجه إلى الأطفال في تلك السنّ الغضة التى يتشكل فيها العقل ، ويتحدد الوجدان .

قدم أمير الشعراء في ديوانه جزءا خاصًا سماه "ديوان الأطفال" فيه عشر قصائد تتناول موضوعات مختلفة قيل في تقديمها "مجموعة من الشعر السهل ، نظمها لتكون للأطفال أدبًا وثقافة"[6] هى الهرة والنظافة ، والجدّة ، والوطن ، والرفق بالحيوان ، والأم ، وولد الغراب ، والنيل ، والمدرسة ، ونشيد مصر ، ونشيد الكشافة .

---

(6) الشوقيات ١٨٨/٤ (المكتبة التجارية الكبرى ١٩٨٣) .

اختار شوقى من أوزان الشعر البحور ذات التفعيلة الواحدة وهى الرمل والهزج والرجز والكامل والوافر والمتدارك ، ولم يترك من هذه البحور إلا بحر المتقارب .

وكان البحر الأكثر شيوعًا هو بحر الرجز إذ استعملة في أربع قصائد هى الجدّة ، والوطن ، والرفق بالحيوان والأم . يليه بحر المتدارك إذ استعمله في قصيدتين هما النيل ونشيد الكشافة . واستعمل مرة واحدة كلا من الرمل في قصيدة "الهرة والنظافة" ، والكامل في "ولد الغراب" ، والهزج في "المدرسة"، والوافر في "نشيد مصر" .

ولم يُستخدم البحر تاما في هذه القصائد إلا في "نشيد مصر" وفي "النيل" ، و"نشيد الكشّافة" ؛ فنشيد مصر جاء على بحر الوافر ، ولكنه نوّع فيه القافية ، فجعل البيتين الأولين أربعة أشطار ، كل شطر بقافية موحدة مع الأخرى :

بنى مصر مكانكمو تهيَّا فهيّا مهدوا للمجد هيّا
خذوا شمس النهار لكم حُليّا ألم تكُ تاجَ أولكم مليّا

وبعد هذه الافتتاحية الموقعة مع الياء المشدّدة المفتوحة المطلقة يستمر النشيد بيتين بيتين ، كل بيت بيتان فيهما ثلاثة أشطر موحدة القافية ، والشطر الرابع تتحد قافيته مع قوافي المطلع أى يكون بالياء المشدّدة المفتوحة المطلقة هكذا :

على الأخلاق خطوا المجد وابنوا فليس وراءها للعزّ رُكْنُ
أليس لكم بوادى النيل عَدْنُ وكوثرها الذى يجرى شهيًا

وعلى هذا النمط يسير النشيد ذو الوزن التام من بحر الوافر ولكن التنوع في القافية والتوحد معًا في آن يجعل نغمه سهلاً قريبا مأنوسًا .

وكذلك فعل شوقى في قصيدتى "النيل" و"نشيد الكشافة" من التنوع القافوىّ الذى يجعل الإيقاع موقعا منوعا جميلا .

هذا الحديث عن وزن هذه القصائد المقدمة للأطفال لم يكن إلا للإشارة إلى أن شعر الأطفال ينبغى أن يراعى فيه الوزن القصير ، الواضح النغم، البسيط الإيقاع ، السريع التأثير حتى يثبت في الذهن بأدنى مجهود ، ويمكن التغنى به وإنشادُه في يسر وسلاسة ، ومن هنا ابتعدت هذه القصائد عن الأوزان التامة باصطلاح العروضيين ، كما ابتعدت عن الأبحر المركبة التفعيلة مثل بحر الطويل والبسيط والمديد والسريع والخفيف والمنسرح . وقد اهتدى أحمد شوقى بخبرته الشعرية العميقة وحاسته الموسيقية الدقيقة إلى هذه الأوزان القصيرة أو المجزوءة بتعبير العروضيين ، وعندما لجأ إلى بعض الأوزان التامة اختار أسهلها وهو بحر الوافر والمتدارك ، ونوع فيه التقفية حتى يسهل فيها الإيقاع ، ويترقرق النغم .

هذا من جانب الوزن ، وأما من جانب المفردات والتراكيب فقد أدى بشوقى اجتهاده إلى أن يختار ما رآه سهلاً من المفردات ، بصرف النظر عن تحقق هذه السهولة أو عدم تحققها بالفعل ، لأنه لم تكن أمامه بالطبع دراسة علمية تبين له المفردات تشيع في عالم الأطفال ، مع أن هذا العالم متدرج على سنوات إذا أخذنا بسن المدرسة حتى نهاية مرحلة الطفولة ، ومختلف من مستوى المدينة إلى القرية ، ومختلف من مستوى اجتماعى إلى مستوى اجتماعى آخر ، ومن مستوى ثقافي إلى مستوى ثقافي آخر .

فإذا أخذنا قصيدة "الأم" التى يقول فيها شوقى :

لـــولا التقـــى لقلـــتُ : لـــمْ يخلـــق ســـواكِ الولـــدَا
إن شـــئتِ كـــان العيْـــرأوْ إن شـــئتِ كـــان الأسَـــدا
وإنْ تُـــردْ غيًّـــا غـــوى أوْ تبْـــغ رشـــدًا رشـــدا
والبيـــتُ أنـــتِ الصـــوت فيـــه ، وهـــو للصـــوتِ صَـــدَى
كالببغـــاء فـــي قفـــصٍ قيـــل لـــه فقلّـــدا
وكالقضـــيب اللـــدْن قـــدْ طـــاوَع فـــي الشـــكل اليـــدا
يأخـــذ مـــا عوّدتـــهِ والمـــرء مـــا تعـــوّدا

فلست أدرى أى مستوّى وجه إليه شوقى هذه القصيدة ؟ فعلى مستوى "المفردات" نجد "التقى – العَيْر – غيًّا – غوى – تبْغ – رُشدًا – رشدًا – صدى –القضيب اللدن" .

وهى كلمات ليست مألوفة للأطفال ، إما لأنها كلمات معانٍ مثل التقى والغيّ والرشد واللدْن ، وإما لأنها كلمات غير مستعملة في عالم الطفل مثل "العَيْر" .

وعلى مستوى التراكيب كذلك نجد القصيدة احتوت على خمسة تراكيب شرطية بدأت من أول بيت :

لـــولا التقـــى لقلـــت : لـــم يخلـــقْ ســـواكِ الولـــدا

كما احتوت على الالتفات ، فعلى حين خاطب البيتان الأول والثانى الأم في (سواكِ) و(إن شئتِ) ، تحدث البيت الثالث عن الأم بضمير الغائبة في (وَإنْ تُرِدْ غيًّا) و (أو تبغ رشدا) ، وعاد البيت الرابع فخاطب الأم (والبيت أنتِ الصوت فيه) وكذلك في البيت الأخير (يأخذ ما عوّدتهِ)

وتعاملت الأبيات مع حقائق يصعب إدراكها عند الطفل ، فالتقى الذى يمنع من إسناد خلق الولد إلى الأمّ ، والمقابلة بين العَيْر والأسد وإرادة الغى وابتغاء الرشد ، والصوت والصدى ، والقضيب اللدْن وقابلية تشكله في اليد ، والمرء وما تعوّده .

فإذا عرفنا أن عوامل فهم اللغة تقوم على معرفة معانى المفردات ، ومعرفة قواعد تركيبها ، وسياق الحال ، ومعرفتنا لحقائق الحياة[٧] ، أدركنا كم الصعوبة التى تقف عائقا أمام فهم قصيدة شوقى عن أحب القيم إلى الطفل وهى "الأم" .

وأما من جانب المحتوى الذى اشتملت عليه هذه القصائد فإنه محتوى محدود ، ينزع إلى الحديث عن الموضوعات الكبرى في معظمه مثل الحديث عن الوطن ، والنيل ، ونشيد مصر ، ونشيد الكشافة ، والمدرسة، ولم يتعلق هذا المحتوى بعالم الطفل أو ما يشغله ، وهناك إلى جانب هذه الموضوعات الكبرى حديث عن النظافة في "الهرة والنظافة" و "الجدّة" و "الرفق بالحيوان" ، وعدم رفق بعض الأمهات بأطفالهن كما في "ولد الغراب" و "الأمّ" .

ولا نستطيع أن نلوم شوقى على قلة ما تعرّض له في ديوان الأطفال، وحسْبه أنه فتح الباب في هذا المجال وشجع كثيرًا من الشعراء الذين سلكوا هذا الطريق فقدموا للأطفال في هذا المجال بعد ذلك أعمالاً كثيرة

([٧]) انظر : فهم المقروء وفهم المسموع ، داود عبده (ضمن الموسم الثقافى الثانى والعشرين لمجمع اللغة الأردنى ٢٠٠٤م)

أما الأسلوب المستخدم في الصياغة فقد كان شوقى فيه بارعًا براعة فائقة ، وتتمثل براعته في الآتى :

١- أنه أجرى الحديث في بعض القصائد على لسان الطفل نفسه كما في "الهرة والنظافة" إذ يقول :

هرتـــــى جـــــدّ أليفـــــة وهـــــى للبيـــــت حليفـــــة

وفي "الجدة" إذ يقول :

لـــــى جَـــــدة تـــــرأف بـــــى أحنـــــى علـــــىّ مـــــن أبـــــى

وكـــــل شـــــيء ســـــرّنى تـــــذهب فيـــــه مـــــذهبى

٢- أنه أجرى الحديث أحيانا على لسان "الشيء" فجعل "المدرسة" هى التى تتكلم ، فيقول :

أنـــــا المدرســـــة اجعلنـــــى كـــــأمٍّ . لا تمـــــلْ عنّـــــى

ولا تفـــــزعْ كمـــــأخوذٍ مـــــن البيـــــت إلـــــى الســـــجْن

ويخاطب أمّ الغراب في "ولد الغراب" ويشير إليها فتفهم الإشارة:

وعرفـــــت رنّـــــة أمّـــــه فـــــي الصـــــارخاتِ النّعـــــق

فأشـــــرت فالتفتـــــت فقلـــــ	ـــت لهـــا مقالـــة مشـــفق :
أطلقتــــه ، ولـــــو امتحنـــــ	ـــتِ جناحـــه لـــم تطلقـــى
وكمــــا ترفـــــق والـــــدا	كِ عليـــك لـــم ترفقـــى

وأنطق "الريح" و"العصفورة" في "الوطن" وجعل بينهما حوارًا يؤدى إلى الغاية التى يريدها .

٣- أنه يسوق القصيدة أحيانا في قالب قصصى محبّب ، ويجرى الحوار بين شخوص القصيدة ، ففي قصيدة "الوطن" يقول :

عصــــفورتان فـــي الحجــا	ز حلتـــا علـــى فـــنَنْ
فـــي خامـــلٍ مـــن الرّيـــا	ض لانَـــدٍ ولا حَسَـــن
بيناهمـــــا تنتجبـــــا	ن ســـحرًا علـــى الغصُـــنْ
مـــرّ علـــى أيكهمـــا	ريـــحٌ ســـرى مـــن الـــيَمن
حيّـــا وقـــال : درّتـــا	ن فـــي وعـــاءٍ ممـــتهَنْ !
لقـــد رأيـــت حـــول صنْـــ	ـــعاءَ وفـــي ظِـــلّ عَـــدَنْ
خمـــــائلا كأنّهـــــا	بقيـــة مـــن ذى يـــزَنْ
الحَـــبّ فيهـــا ســـكّرٌ	والمـــاء شُـــهدٌ ولـــبَنْ
لـــم يرهـــا الطيـــرُ ولـــم	يســـمع بهـــا إلا افتـــتنْ

هيّـــا اركبـــانى نأتِهـــا فـــي ســاعة مـــن الـــزّمَنْ
قالـــت لـــه إحـــداهما والطيـــرُ مـــنهنّ الفطـــنْ :
يـــاريحُ أنـــت ابـــن السبيـــ ـــل ، مـــا عرفـت مـــا السـكنْ
هـــبْ جنـــة الخلـــد الـــيَمنْ لا شـــئ يعـــدل الـــوطنْ !

ففي هذه القصيدة جرى الحوار بين "الريح" وإحدى العصفورتين بعد تصوير ما كانت عليه العصفورتان ، وحال الحياة في اليمن ، وكان ردّ العصفورة حاسمًا مقتضبا ، وكان كلام الريح مسهبًا ، وناسب هذا الحوار الموقف المصور ، إذ كان الريح يغريهما بالانتقال من الحجاز حيث القسوة والشظف إلى اليمن حيث النعمة والرخاء ، وتمسكت العصفورتان بالوطن في اقتضاب مما يوحى بأن قضية الوطن لا تخضع للمساومة والأخذ والردّ .

٤- يصرح شوقى في آخر القصيدة دائمًا بالمغزى الذى يريد أن يثبت في ذهن الطفل ، سواء أكان ذلك بصيغة الطلب كقوله عن النظافة:

لا تمـــرّنَّ علـــى العَيْـــ ـــن ولا بـــالأنف جيفـــة
وتعــــــوّدْ أن تُلاقـــــى حســـنَ الثـــوب نظيفـــة
إنمـــا الثـــوبُ علـــى الإنـــ ـــسان عنـــوانُ الصـــحيفة

أم كان بصيغة الاستفهام التقريرى كقوله على لسان الجدّة مخاطبة ابنها والد حفيدها :

ألـــم تكـــن تصـــنعُ مـــا يصنـــع إذ أنـــت صـــبى ؟

أم كان بجملة تقريرية قاطعة في نفيها

هـــبْ جنـــة الخلـــد الـــيمنْ لا شـــيء يعـــدل الـــوطنْ

أو قاطعة في ثبوتها كقوله في الرفق بالحيوان :

بهيمـــــة مســـــكينْ يشـــكو فـــلا يُبـــينْ

لســـــانه مقطـــــوع ومـــا لـــه دمـــوعْ

حسب أحمد شوقى أنه فتح الباب مهتديا بعبقريته الشعرية بهذه النماذج القليلة التى قدمها في هذا المجال الذى نرى أنه مجال مهم نحن في حاجة إليه من أجل تغذية وجدان الطفل وعقله وتنمية لغته بمثل هذا الأسلوب الجميل .

نظلم أحمد شوقى ظلمًا بيّنًا إذا قلنا إنه اكتفي بعشر القصائد التى قال عنها ناشرو ديوانه أو شوقياته إنها ديوان الأطفال ، لأن أحمد شوقى قدم في شوقياته أربعا وخمسين قصيدة سميت "الحكايات" جاء معظمها في حكاية أو قصة عن بعض الطيور والحيوانات . استغل فيها شوقى عاملين أساسيين أولهما أن سليمان – عليه السلام – عُلم منطق الطير فلا عجب أن تأتى بعض القصائد مثل "سليمان والهدهد" و"سليمان والطاووس" و"سليمان والحمامة" . والآخر أن نوحًا – عليه السلام – حمل في سفينته من كل زوجين اثنين ، فهى مناسبة للحديث عن أحوال بعض الحيوانات في السفينة كالدب والثعلب والليث

والذئب والأرنب وبنت عرس والحمار والنملة . وقد ترددت أسماء بعض الحيوانات وشاعت في هذه الحكايات وحظى الثعلب لمكره ودهائه وحيلته ، والأسد لكونه ملك الغابة وقوته ، والكلب لإلفه ووفائه ، والحمار لطيبته وغبائه ، وغير ذلك من أنواع الحيوانات والطيور وبعض الحشرات التى بلغت اثنين وأربعين نوعًا من عناوين القصائد .

وهذه القصائد سلكت مسلكا رمزيًا قريبًا وواضحًا ، وتساق العظة أو الحكمة في آخرها دائمًا مستخلصة من الحكاية في صورة تعليق فيه تركيز شديد أو مفارقة شديدة الوضوح . وهذه الحكايات تصلح للكبار وللصغار معًا، وكل يستخلص لنفسه منها ما يتسع له إدراكه ويستوعبه عقله .

وأذكر أنه درّس لنا ونحن في المدرسة الإلزامية وكنا في التاسعة من العمر بعض هذه الحكايات الشعرية ، وما تزال ترنّ في أذنى قصة "اليمامة والصياد" وحمقها الذى أوقعها في يد الصياد . ومع أننا لم نفهم تمامًا قولها :

ملكت نفسى لو ملكت منطقى

فإننا لم نستطع أن ندفع ذلك الشجن الذى ملأ نفوسنا من هذه القصة المؤثرة التى تمثلت في براءة هذه اليمامة التى كانت بأعلى الشجرة بعيدة عن عين الصياد الذى همّ بالرحيل حين ملّ من الحوم حول الروض بحثًا عن صيْد من الطير فلم يجد ظلا لواحدة منها ، فسألته هذه اليمامة المسكينة عن مقصده فكان جزاؤها أن صوب نحوها سهم الموت ووقعت في قبضته .

يمامة كانت بأعلى الشجره آمنة في عشها مستتره
فاقبل الصياد ذات يومْ وحام حول الروض أى حومْ

فلـم يجـد للطيـر فيــه ظـلا ... وهـمّ بالرحيـل حـين مـلاّ
فبـرزت مـن عشـها الحمقـاءُ ... والحمـق داء مـا لـه دواءُ
تقـول جهـلاً بالـذى سيحدثُ ... يـا أيهـا الإنسـان عـمّ تبحثُ
فالتفت الصياد صوب الصوتِ ... ونحـوه سـدّدَ سـهم المـوتِ
فسقطت مـن عرشـها المكـين ... ووقعـت فـي قبضـة السـكين
تقـول قـول عـارف محقـق : ... "ملكت نفسى لو ملكت منطقى"

وقد لجأ شوقى في هذه الحكايات إلى "القافية المزوجة" بحيث يكون للبيت في آخر شطره الأول قافية تماثل ما في آخر شطر الثانى ، وغلب هذا على هذه الحكايات فجاءت خمس وثلاثون حكاية منها على هذه الطريقة ، وجاءت القصائد الأخرى كل منها بقافية موحدة ، ولا شك أن طريقة ازدواج القافية في البيت تساعد على ترسّل الحكّى وتنوّع النغم مما لا يدفع إلى الملل . ولا يعنى هذا أن القصائد الأخرى التى لم تلتزم بهذه الطريقة قد جاءت مملة ، بل إن كل قصيدة منها سلكت مسلكًا تحبب نفسها به إلى قارئها ، ولكنى أردت فحسب أن أكشف تنوّع أساليب شوقى وتفننه في إبداعه .

وقد كانت هذه الحكايات التى قدمها أحمد شوقى "خفيفة الظلّ" تشيع فيها المفارقة السّاخرة ، وتأتى العظة فيها دائمًا مقرونة بموقف طريف مما يجعلها سائغة مقبولة محببة ، والحكايات كلها أمثلة لهذا الذى أريد ، ولكنى أختار من بينها وعلى غير اختيار حكاية "الفأرة والقطة" التى يقول فيها شوقى :

سـمعت أنّ فـأرةً أتاهـا شـقيقها ينعـى لهـا فتاهـا
يصـيح يـالى مـن نحـوس بختـى مـن سلط القـط علـى ابـن أختـى
فولولـت وعضّـت الترابـا وجمعـتْ للمـأتم الأترابـا
وقالـت اليـومَ انقضـتْ لـذاتى لا خيـر لـى بعـدك فـي الحيـاةِ
مـن لـى بهّـر مثـل ذاك الهـرّ يريحنـى مـن ذا العـذاب المـرّ
وكـان بـالقرب الـذى تريـدُ يسـمع مـا تبـدى ومـا تعيـدُ
فجاءهـا يقـول يـا بشـراكِ إنّ الـذى دعـوت قـد لبّـاكِ
ففزعـت لمـا رأتـه الفـارهْ واعتصـمت منـه ببيـت الجـاره
وأشـرفت تقـول للسـفيهِ إنْ مُـتّ بَعْـد ابنـى فمـنْ يبكيـهِ ؟

وكذلك "ثعالة والحمار" التى تقوم فيها "التورية" بدور واضح في آخر شطر فيها :

أتـى ثعالـة يومّـا مـن الضـواحى حمـارُ
وقـال إن كنـت جـارى حقـا ونعـم الجـارُ
قـلْ لـى فـإنى كئيـبٌ مفكّـر محتـارُ
فـي موكـب الأمـس لمـا سـرنا وسـار الكبـارُ

طرحـــت مـــولاى أرضًـــا فهـــل بـــذلك عـــارُ ؟
وهـــلْ أتيـــت عظيمًـــا ؟ فقـــال لا يـــا حمـــارُ

لقد كان وعى شوقى واضحا في أن تكون حكاياته التى جاءت على ألسنة الحيوانات والطير واضحة المغزى قريبة الرمز يفهمها الصغار قبل الكبار ، ولجأ فيها إلى أن تكون على ألسنة الحيوانات والطير حتى يسلم من المؤاخذة إن كان ثم تلميح إلى السلطة كما في حكاية "الأسد ووزيره الحمار" التى تبين أن الأسد اختار الحمار وزيره ، فترتب على هذا الاختيار فساد الأحوال ودمار الملك ، وفقدان هيبة الملك :

حتـــى إذا الشـــهر ولـــى كليلـــةٍ أو نهـــار
لـــم يشـــعر الليـــث إلا وملكـــه فـــي دمـــار
القـــرد عنـــد اليمـــين والكلـــب عنـــد اليســـار
والقـــط بـــين يديـــه يلهـــو بعظمـــة فـــار
فقـــال مَـــنْ فـــي جـــدودى مثلـــى عـــديم الوقـــار
أيـــن اقتـــدارى وبطشـــى وهيبتـــى واعتبـــارى
فجـــاءه القـــرد ســـرًا وقـــال بعـــد اعتـــذار
يـــا عـــالى الجـــاه فينـــا كـــنْ عـــالىَ الأنظـــار
رأى الرعيـــة فـــيكمْ مـــن رأيكـــم فـــي الحمـــار

واللغة المستخدمة في هذه الحكايات لغة سهلة قريبة المنال ، ليس فيها لفظ غريب أو ناب ، وإذا جاء لفظ غير مأنوس فإنه يظهر معناه من خلال سياقه ، بل قد يلجأ أحيانًا إلى بعض الألفاظ العامية كقول بنت عرس عندما نهضت لإنقاذ جارتها الأرنب في السفينة :

جاءت عجوز من بنات عرس — تقول أفدى جارتي بنفسي
أنا التي أرجَى لهذي الغاية — لأنني كنت قديمًا "دايَة"

وكل الحكايات ومثلها شعر الأطفال مما يسهل حفظها وترديدها على الألسنة ، ومن هنا تنمو لغة المتعلم من حيث المفردات والتراكيب والصور ، وتتعمق في نفسه المعاني والقيم التى تقدم في هذا الإطار المحبب الجميل .

وكُلُّ ما قدمه شوقى في هذا المجال يمثل جزءا يسيرًا مما يراد تقديمه للطفل ، ولا يصح أن نلوم أحمد شوقى فقد كان محكومًا بظروف خاصة كان يراعيها في كل الأحوال ، ويكفي أنه كان رائدًا ، وأنه فتح هذا الباب . وقد تطورت الحياة تطورا ملحوظا ، وتغيرت أشياء كثيرة ، وعلى كل عصر أن يتحمل تبعات ما يجب عليه عمله نحو أطفاله .

بعد أحمد شوقى كتب عدد من الشعراء للأطفال ، واهتم القائمون على التعليم أن يضعوا من هذا الشعر شيئًا لأطفال المدارس ، وكان في أيام طفولتى بعض النصوص التى مازلت أحفظ بعضها مثل هذا النص الذى يحث على التعاون للشاعر محمد الهرّاوى يقول فيه :

أربعة كلاب — من خيرة الأصحاب

قـــــد ألفـــــوا جمعيـــــة تعمـــــل بالســـــويّة
واتفـــــق الجميـــــعُ وكلهـــــم مطيـــــعُ
أن يركبـــوا فـــي عربـــة يـــوم احتفـــال العقبَـــة
اثنـــــان يركبـــــان واثنـــــان يســـــحبان
ومـــــن يجـــــر ذاهبـــــا يرجـــــع فيهـــــا راكبـــــا
فكـــــان هـــــذا النظـــــر فيـــــه الســـــرور الأكبـــــر

وواضـح مـن هـذا الـنص تـأثره بأحمـد شـوقى وطريقتـه فـي قصـر الـوزن واصطناع القافية المزدوجة ، لكن هذا النص لا يرقى في حكايته إلى مستوى أحمد شوقى الذى ابتكر عددًا من الحكايات المقنعة(٨) .

وقد ظلّ أحمد شوقى يلقى بظله على كل من يأتى بعده ، ولم يخرج عنه إلا فاروق شوشة الذى قدم أربعة أعمال مستقلة للأطفال ممثلين في أحفاده "حبيبة والقمر" و"ملك تبدأ خطواتها" و"حكاية الطـائر الصـغير" و"الأمير الباسم" . أقول إنّ فاروق شوشة خرج عن تأثير أحمد شوقى في الصياغة الشعرية لأنَّه آثر أن يكتب عن الصغار ولهم كما يكتب للكبار بطريقة الشعر الحرّ ، وإن كـان فـي بعض الموضـوعات متـأثرا بأحمـد شـوقى كمـا فـي "حكايـة الطـائر الصـغير" التى تجدها في مغزاها قريبة من حكاية "القبرة وابنها" لأحمد شوقى مع اختلاف في التفاصيل بطبيعة الحال . وعلى كل حال تجربة فاروق شوشة

(٨) ظهر :حبيبة والقمر" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ ، و"ملك تبدأ خطوتها" عن الهيئة نفسها سنة ٢٠٠٢ وحكاية الطائر الصغير عن قطر الندى سنة ٢٠٠٢ و"الأمير الباسم" عن المركز القومى لثقافة الطفل ٢٠٠٥ .

مع شعر الأطفال تحتاج لوقفة في غير هذا المجال . أردت فحسب أن أشير إلى أنّ كل من أتى بعد أحمد شوقى لم يستطع الإفلات من تأثيره تمامًا ، وهذا يقودنا إلى تجربة الشاعر سليمان العيسى الذى خصص ديوانا من ٧٥٦ صفحة لشعر الأطفال سماه "ديوان الأطفال"[٩] وهى التسمية نفسها التى وضعت لقصائد أحمد شوقى للأطفال ، وإذا كان عدد قصائد شوقى في ديوان أطفاله لم يتجاوز عشرًا مع عدم احتساب الحكايات لأنّه لم يضعها في ديوان الأطفال ، فإنّ القصائد التى قدمها سليمان العيسى في هذا الديوان بلغت أربعًا ومائتى قصيدة .

وقد أتاح طول الزمن ، وعمق الاهتمام بالأطفال أن ينوّع في الموضوعات تنوعًا غنيًا يتضح فيه الإيمان والإصرار على الهدف . ووضوح الرؤية ، وهو يكرر كثيرًا أنّ "هذه الأناشيد كُتبت ليغنيها الأطفال لا ليقرؤوها بالطبع ، وعندما يغنونها سيحفظونها"[١٠] ولا يقف شاعر نفسه على شعر الأطفال بهذه الكمية وبهذا التكثيف إلا إذا كان مؤمنا إيمانا حقيقيًا بقضيته . تقول الدكتورة ملكة أبيض "وخلف الديوان كله تقف نظرة نفسية تربوية تتمثل في أننا ربما استطعنا تغيير حياة الأطفال إذا ما تدخلنا بصورة مبكرة في مسرح نموهم عن طريق تزويدهم بتصور واضح للكيفية التى يستطيعون بها أن يكونوا فاعلين ، نشطين في المجتمع . وزيادة الوعى هذه تشفي من أهم عوائق التطور ، ألا وهى اللامبالاة التى تعطل قوى الكثير من الناشئين في المجتمعات الحديثة"[١١].

ويقول الشاعر سليمان العيسى عن ديوان أطفاله "هذه الأناشيد تخاطب الأولاد من سن ٧ ــ ١٥ وتنتظر التلحين والإخراج والأداء .

([٩]) طبع فى دار الفكر المعاصر بيروت ــ لبنان ودار الفكر دمشق ــ سورية ١٩٩٩م .
([١٠]) ديوان الأطفال : ٣٨٤ .
([١١]) د. ملكة أبيض ، ماذا يغنى الأطفال فى ديوان الأطفال لسليمان العيسى ــ دراسة مستلة من كتاب الباحثة نفسها بعنوان "وقفات مع سليمان العيسى" الهيئة العامة للكتاب فى صنعاء ٢٠٠١م .

وليس للنشيد سن محددة بالضبط"[١٢] ويقدم لعمله بمقدمة طويلة يخاطب فيها الأطفال مخاطبة الكبار قائلا : "إنى لا أكتب للصغار لأسليهم . ربما كانت أية لعبة أو كرة صغيرة أجدى وأنفع في ذا المجال إنى أنقل إليكم تجربتى القومية ، تجربتى الإنسانية ، تجربتى الفنية أنقل إليكم همومى وأحلامى يا أعزانى الصغار"[١٣] .

وقد كان الشاعر صادقا عندما أشار إلى سن الأطفال الذين يتوجه لهم، بل أكاد أقول إن بعض هذه الأناشيد مقدمة إلى أطفال دون السابعة ، وذلك مثل "حروفنا الجميلة"[١٤] .

ألـــف بـــاء تـــاء ثـــاءُ

هيـــا نقـــرأ يـــا هيفـــاءُ

وكذلك الأعداء في "عاش الحب" [١٥]

عـــدوا واحـــدْ عـــاش الحـــبْ

عـــدوا اثنـــينْ ســـار الركـــبْ

عـــدْ ثلاثـــةْ يـــا عبـــاسْ

عـــدوا الأربـــع وقف الناسْ .. إلـــخ

---

(١٢) ديوان الأطفال ٣٤ .
(١٣) السابق : ٣٠ .
(١٤) السابق : ٣٧ .
(١٥) السابق : ٣٨٧ .